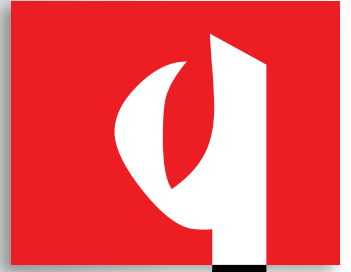


محمد سعيد

الحبوبي



دراسة من زمن التوهج

بحوث



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عز الدين

العدد (4600) السنة السابعة عشرة
الخميس (30) كانون الثاني 2020
WWW. almadasupplements.com

5-4

الحبوبي.. شاعر الفقهاء
وفقيه الشعراء





الجبوبي

يكتب صفحات الجهاد والوطنية

توفيق التيمي

بالرعونة والغرسة في التعامل مع المواطنين العراقيين، لكن هيبية الجبوبي وعلو مكانته جعلت ابناء العشائر الفراتية والجنوبية تؤازره وتلتف حول رايته ، ولما سارت قدما الى الميدان استجاب لندائه في جهاد الكفار معظم رجال الدين ومن مختلف الاصول العربية والابرانية.

الكورد والحفيد تحت لوائه

لحق بالجبوبي قائد جبهة الشعبية للمقاتلين الزعيم الكوردي (محمود الحفيد) ومعه آلاف الكورد بين سيف و فرس وراجل، فسالت الدماء العربية الكوردية وامتزجت على مديح الشهادة العراقية في صورة وطنية قبل نظيرها في صفحات التاريخ الذي مرّفته النزاعات واهواء الحكام بالترفقة والعنصرية بعد تلك الواقعة البطولية .(كان السيد محمد سعيد الجبوبي اشد المجتهدين حماسا للجهاد ،وفي عصر ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤ خرج الجبوبي من النجف في موكب يصحبه جماعة من اصحابه وكان قد تقلد سيفه والبطول تدق امامه .ويعد نزوله في كثير من المدن والعشائر وصل النصرارية في منتصف كانون الثاني ١٩١٥ وكان الجبوبي اثناء موكلته في الناصرية دائب الحركة حيث صار يتجول بين العشائر المجاورة،ويرسل اعوانه من شبان الطلبة كباقر الشبيبي وعلي الشرفي الى العشائر البعيدة لحثهم على الانضمام الى حركة الجهاد وقد وضعت الحكومة تحت تصرفه اموا لا طائلة لينفقها في تجهيز العشائر فاجتمع اليه منهم خلق كثير وفي ١٩ شباط غادر الجبوبي سوق الشيوخ متوجها نحو الشعيبة تابعته العشائر تحملهم مئات السفن الشراعية وهي تخر مياه بحيرة الحمار) من مذكرات محمد رضا الشبيبي نقلنا عن مجلة الكوردية عانوا الايرين من اضهاد الولاة العثمانيين وتسفهم ،حيث اتسموا

قائد للعشائر العربية والكوردية

كان اقتناع رجال العشائر في الالتحاق بالجهاد ضد الإنكليز امرا في غاية الصعوبة والعسر، فابناء العشائر العراقية ومعهم العشائر الكوردية عانوا الايرين من اضهاد الولاة العثمانيين وتسفهم ،حيث اتسموا

المسؤول المالي والإداري لقوات الجبوبي الى خيمة القائد ليستوضح جلية الخبر ، وحاول السيد محسن الحصول على فرس ليمتطيه فلم يتمكن من ذلك لأن كل واحد من المجاهدين كان محتاجا الى فرسه للنجاة بنفسه من هول المعركة، فقدم اليه الشيخ رحوم الظالمي فرسه فمضى الى خيمة القائد التركي وهو يسير بين جثث القتلى و القذائف تتطاير انفجاراتها من حوله حتى وصل الى خيمة القائد التركي فوجده مكا على اوراقه واتضح ان الاشاعة كانت غلطة او خديعة ادت الى الهزيمة(لو اتبع القائد التركي سليمان العسكري اشارات اركانه والارشاد الذي ابداه عمي السعدون والمجتهد السيد محمد سعيد الجبوبي وبعض رؤساء العشائر لما وقعت الكارثة لان عدد المجاهدين العرب والكورد الذين اجتمعوا كان يربو على الثمانين الفا عدا الجنود النظاميين وكانت هذه القوة تنتظر في الغيشة منذ اكثر من ثلاثة اشهر)من مذكرات عبدالعزيز القصاب من نتائج معركة الشعيبة كان لمعركة الشعيبة الخاسرة الأثر العميق والحزين في نفوس المجاهدين ، وقد اودت بحياة السيد محمد سعيد الجبوبي حُرّاً وكمداً لما شاهده من هزيمة للمعسكر الإسلامي في الوقت الذي كان بالإمكان تحقيق النصر على الإنكليز لولا سوء تقدير وإدارة القيادة العثمانية للعمليات العسكرية . .كان هناك جروح واصابات في جسد الشهيد السيد الجبوبي وكان في حينها كبير السن حيث بلغ مطلع العقد السبعيني

استشهد بايام بعد واقعة معركة الشعيبة وهو على فراش الموت و المرض في بيت الحاج الشيخ عبد الكريم العضاض الكائن وسط مدينة الناصرية وكان من خاصته ومقلديه ، و قبل استشهاده بايام اكتشف الإنكليز أن محور هذه الجموع من العشائر وباقي قطاعات الشعب هو العالم المجتهد المجاهد السيد محمد سعيد الجبوبي ،والذي سبب لهم خسائر كبيرة وعجل في إنسحابهم من العراق وخلق أجواء العداء ضدهم وعرقل احتلالهم لمدينة الناصرية، كانت الهزيمة فاجعة للجيش والمجاهدين معا .فتألم المجاهدون لما حل بهم فقد سقط منهم في معركة الشعيبة ثلاثة الاف شهيد وكان الجبوبي اكثرهم تألما فقد انعكست عليه اثار الهزيمة الى الناصرية بعد هزيمة الجيش التركي في منطقة النخيلة (المعروف عن كبار المجتهدين الذين قادوا حركة الجهاد كالسيد محمد سعيد الجبوبي والسيد مهدي الحيدري والشيخ مهدي الخالصي، انهم لم يكتفوا باتفاق المبالغ التي وضعت تحت تصرفهم على حركة الجهاد بل زادوا على ذلك فانفقوا من اموالهم الخاصة او من الحقوق الشرعية التي كانت تقدم لهم وقيل ان الجبوبي بوجه خاص كان غنيا له املاك خاصة فرهنها لكي ينفق منها على المجاهدين .)ملحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث . علي الوردي ج ٤ ص ١٥٩

نهاية الفارس

لم يعرف الجبوبي الخوف في حياته الامرة واحدة في اليوم الاخير الذي تشتت فيه قوات المجاهدين ومع ذلك ظل الجبوبي مع صحبه المرافقين مرابط لوحدته في مواجهة شراسة وقوة الإنكليز الهجبية ، حيث كان في ذلك اليوم تنفجر القنابل بين الخيام ، وهرب المجاهدون بعد ان اشبع بينهم ان القائد التركي سليمان عسكري قتل هو وضباطه جميعا ، فانشرت الفوضى بين العشائر واختل النظام وقد ثبت السيد الجبوبي مع ثلة من صحبه فلم يهربوا مع الهاربين ، ثم استقر رأيهم اخيرا ان يرسلوا السيد محسن الحكيم وهو

الدكتور البصير وشعر الجبوبي

شهد العراق في القرن التاسع عشر نهضة أدبية كبرى كان لها الصدى المدوي في وادي الرافدين، وكان لها الأثر الفعال في انبعث الشعر المعاصر في العراق، وهذا القرن - بما فيه تبليل سياسي والتواء في الحكم ، وبما فيه من ظلم واستبداد - كان نشيطا في حركته العلمية والأدبية. وكان اكثر نشاطاً في الناحية الشعرية. ففي بغداد والحلة والنجف والموصل كانت الحركة العلمية في نهاية المعركة مع الأحداث والخطوب التي كانت تحارب العقول والأذهان والحريات؛ لأن الأولى كانت تستمد قوتها من تاريخ حافل بالأمجاد والروائع؛ ولأن الثانية كانت تطل من دنيا الجهل والجبروت تحارب هذه الأمجاد بقوة وعنف وانتصرت الحركة العلمية في العراق بفضل أبنائه الساهرين على تأريخهم وأمجادهم، فقد كانت في القرن التاسع عشر - ولا تزال - بيوت أثيرة المكانة منيعة الجانب تجمع بين النفوذ السياسي والديني، وكان فيها إلى جانب ذلك من يعيش الأدب ويمارس الشعر.

إبراهيم الوائلي

الرأي فلم تسلم دراسته من بعض الغموض، ولم يسلم رأيه من الترحج والتردد في بعض المواطن، ونشير إلى ذلك وغيره. يتحدث - أول ما يتحدث - عن السيد محمد سعيد الجبوبي النجفي الشاعر الشهير وصاحب الموشحات الكثر فيقارن بينه وبين الشريف الرضي وتسلم مقارنته في كثير من المواطن، في الشعر والعلم، وفي الحياة والجهاد، وفي موطن الترفع عن اكتسب بالشعر، ويقفل المقارنة بينهما في النسب، فكلا الشاعرين علويان يتصل نسبهما بالإمام علي، وقد ترتب على هذا الإغفال - مادمننا في صد المقارنة إغفال ناحية أخرى وهي تعصب الشريف الرضي لعلويته ودفاعه عنها واعتزازه والأخيلة عن شعراء العصر العباسي الأخير.

ومن هؤلاء: الحليان السيد حيدر والسيد جعفر، والموصليان عبد الغفار الأخرس وعبد الباقي العمري، والنجفيون السيد محمد سعيد الجبوبي والسيد إبراهيم الطباطبائي، والشيخ عباس والشهيد جعفر الشرفي والشيخ جواد الشبيبي وغيرهم. وقد ترك معظم هؤلاء الشعراء دواوين مطبوعة وأثار مخطوطة يتدارسها أدباء العراق ويعنون بها، لأنها البنيوع الذي تدفق من بين الرمال والصخور بعد فترة طويلة فسقى وأنبث وأمد نهضتها الحديثة بنخيرة قوية و افره.



نتنظره من الدكتور. ويتريد الدكتور في رأيه بين الجهر والتكتم عندما يتحدث عن غزل الجبوبي، فهو لا يستطيع أن يحكم بأن الجبوبي قد أكتوى بنار الحب وأنه أستمتع من شبابه بما يستمتع به كل شاب مترف لأن سمعته الفقيه تأتي ذلك: ثم يقول: (أنا نلظم الجبوبي ظلماً فاحتسا إذا افترضنا أن قلبه لم يكن من القلوب التي بداخلها الحب)؛ فالدكتور البصير لا يريد أن يظلم الجبوبي فيقول عنه أنه احب ولا يريد أن يظلمه فيقول: أنه لم يحب في الأولى يتناقى مع علمه وفقيه وفي الثانية يتناقى مع غزله الرقيق؛ هذا هو موطن الغرابة في رأي الدكتور، ولقد كان بإمكانه أن يعلن عن رأيه بوضوح ولا يحتفظ ما دام يتنقل من ديوان الجبوبي فإنه قليل واضح التصوير والصور، ولا أحسب ذلك عسيرا

لا تخل ويك - ومن يسمع يخل - ... أنني بالراح مشغوف الغواد أو بهمضوم الحشا ساهي المقل ... أخلجت قامته السم الصعود أو بربات خدور وكلل ... يتقن بقرب ويعاد إن لي من شري بردا ضفا ... هو من دون الهوى مرتهي غير أني رميت نهج الضرفا ... عفة النفس وفسق الألسن

ولا داعي لأن يقول الدكتور إن هذه الأبيات قد زادت (المسألة تعقيدا) بعد الذي أشرنا إليه. ما نعرفه من أخلاقه وأحواله صحبياً. وهنا نضع أكثر من علامة استفهام لنسال الدكتور عن السر في تفاوت الشاعرين وكون الجبوبي يظلم حين يجرد من الحب، وإن الحلبي لم يقع في شرك الحب؟ ثم ما هو المانع من أن يجتمع الحب الزويه مع الأخلاق الكريمة إذا كانت الأخلاق مقياس الحب؟ وهذه أبيات للسيد حيدر نرويها كما رواها الدكتور: سارقتها النظر المريب بمقلة ... لم تقض من لمحاتها وأصاها ولقد دعوت وما دعوت مجيبة ... ودعت بقلبي للهوى فأجابها أكلة الحين شقت فنسولى ... كيدا هوتك فكابت أوصاها ما دميمة المحراب أنت بل التي ... ننسفن نساك الورى محربا أن هذه الأبيات خالية من الأحاسيس والعواطف في نظر الدكتور مع أن الشاعر لم يزخر فيها ولم يصنع. أما الغزل عند الجبوبي فإن من الظلم أن نجرده من العواطف!!

* مجلة الرسالة/العدد ٨٥٩/بتاريخ: ١٩ ١٢ - ١٩٤٩

الجبوري

سالم الحمداني

ولد السيد محمد سعيد الجبوري في عام ١٨٤٩ في مدينة النجف من اسرة عربية علوية يرجع نسبه الى الإمام الحسن بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهم السلام ، امضى السيد الجبوري طفولته في رعاية ابيه السيد محمود الجبوري ، ولما بلغ سن التعليم بدأ يتعلم القراءة والكتابة والخط ثم حفظ القرآن الكريم بعدها استمر بدراسة مبادئ الادب وعلوم اللغة العربية، هاجر مع ابيه وعمه الى الحجاز وقضى شطرا من حياته في الحجاز وبلاد نجد.

وقضى هناك عدة اعوام عاد بعدها الى مدينة النجف الاشرف فعكف لدراسة علوم العربية والدين وقرض الشعر. وحضر في الفقه والاصول على الشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ محمد طه نجف واطلع على العديد من الدواوين الشعرية والادبية كما اخذ يتردد على المجالس الادبية التي كانت منتشرة بالنجف الاشرف في العشرين من عمره ، نظم اول قصيدة في رثاء السيد رضا الرقيعي واستمر ينظم الشعر حتى اصبح من الشعراء الكبار وقد اقام علاقات وطيدة مع شعراء المدن العراقية الاخرى وعلى الرغم مما كانت تضم مدينة النجف الاشرف من فطاحل الشعر ونوابع الادب الا ان الجبوري غالبهم ما حدا بهم ان يقرأوا له بالنويع والتقدم. واصل السيد الجبوري الدراسة والاطلاع على الامور الفقهية والعلمية فتوطدت علاقته اكثر مع رجال العلم وكان ابرز هؤلاء السيد جمال الدين الافغاني الذي كان يدرس في مدينة النجف كما خالط طبقات كثيرة من الناس فلم تضطره مكانته الشعرية او الفقهية الى ان يترفع من عوام الناس او يتجنب مجالستهم او السماع الى احاديثهم واشعارهم كما جالس كبار المراجع والشخصيات وقد اختص السيد الجبوري من بين معاصريه بالعلامة الشيخ محمد حسن كبه فكتيرا ما كان يقصده الى بغداد فيقيم عنده المدة الطويلة برغبة منه ويشتركان بنظم القصائد الغائقة والملاحم الممتازة وللسيد الجبوري شعرا كثيرا في مدح العلامة محمد حسن كبه يذكره الدكتور محمد مهدي البصير بكتابه "نهضة العراق الادبية" فيقول كان الشعر عند السيد محمد سعيد الجبوري فيض



شاعر الفقهاء وفقه الشعراء

النفس وصدى خاطر ومتعة الروح، كان يتحف به اصداؤه في شتى المناسبات مشاركا لهم في افراحهم ومؤاسيا اياهم في احزانهم، اقول ابت نفسه ان يبقي منفردا بالشعر فقد تركه في او اخر عمره وبالتحديد قبل ثلاثين سنة من وفاته ليدخل زمرة العلماء والمجتهدين

بعد ان كان ادبيا نابغا كان فقيها جليلا و عالما جهيدا، كان له في ميدان العلوم الاسلامية باع طويل وزعامة كبيرة حيث حضر على العلامة الشيخ محمد طه نجف والذي يعد من كبار الفقهاء والعلماء انتهت اليه الرئاسة والزعامة الدينية في عصره والذي تتلمذ عليه جمهرة من العلماء واهل الفضيلة اقدمهم السيد محمد سعيد الجبوري الذي له مكانة عند الشيخ محمد طه نجف تميزت على بقية زملائه الذين كانوا يحضرون معه الدرس حيث صدرت منه في حق السيد الجبوري اقوال وشهادات كانت تدل على اجتهاده في الفقه وتضلعه منه .

يذكر الاستاذ "اسماعيل العياشي" في موضوع له عن السيد محمد سعيد الجبوري ، يقول فيه «لما صار زعيما دينيا لم تبدل اخلاقه هذه الرئاسة فهو على ذلك الجانب العظيم من التقوى والصلاح وكمال النفس والبشاشة ورحابة الصدر والنزاهة والتواضع حتى راح يلفت حوله طلاب العلم وهو لم يأل جهدا في تدريسهم وايقافهم على شبهاتهم واطلاهم على معرفة ما يضلون من فقه و اصول وغيرها، قد تعرفنا على السيد الجبوري الشاعر والفقيه والان نجد الجبوري المجاهد المقاتل في سبيل دينه ووطنه بعد ان رفع لواء الجهاد وعلنها حربا على الانكليز عندما اندلعت نيران الحرب في اوربا.

اعلنت الدولة العثمانية الحيات تجاه الدول المتحاربة لكنها اعلنت حالة التغيير العام في بلادها بحجة المحافظة على حيادها تجاه من يزيد الاعتداء عليها ، واستمرت حالة التغيير في الدولة العثمانية ثلاثة اشهر حتى دخلت الحرب مرغمة فاعلنت الجهاد في ١٢/٧/٩٤ واول ما فكرت فيه الحكومة العثمانية ارسال وفد الى النجف الاشرف مؤلف من كبار شخصيات السلطنة لمحاذة كبار العلماء المجتهدين في امر الجهاد وثالث الوفد السلطاني من الفريق محمود فاضل باشا الداغستاني وشوكت باشا ، وحين وصل الوفد الى النجف استقبل بحفاوة بالغة ثم عقد اجتماع في جامع الهندي حضره الكثير من العلماء والوجهاء ورؤساء العشائر وخطب



واوائل العلماء الذين اعلنوا الجهاد ضد القوات البريطانية فأخذ يدعو الناس الى التطوع للذهاب الى جبهات القتال لمحاربة الانكليز بغزاة كما بعث السيد الجبوري رسائل الى زعماء المدن الاخرى يدعوهم فيها الى التطوع والجهاد لمحاربة القوات النازية. يذكر السيد سعيد رشيد زمزم بكتابه "رجال

العراق والاحتلال البريطاني" الجزء الاول فيقول «لبي نداء الجبوري اعداد كبيرة من العراقيين وجاء هؤلاء المتطوعين الى مدينة النجف وادوا مراسم زيارة الإمام علي (عليه السلام) ثم اتجه موكب المجاهدين يتقدمهم السيد الجبوري واتجهوا الى مدينة الكوفة وقد تقدم الموكب حملة الاعلام وهي ترفرف فوق الرؤوس واصوات الناس تتعالى بالتكبير وتدعوا الله (عز وجل) ان ينصرهم على قوات الاحتلال البريطاني، بعد وصول الموكب الى الكوفة استقلوا السفن النهرية التي اعدت لهم لنقلهم الى مدينة الناصرية التي اتخذت مركزا لتجمع المجاهدين وقد سميت مدينة الناصرية دار الجهاد باعتبارها مركز تجمع المجاهدين، سار الموكب مرور بمدينة السماوة فكان السيد الجبوري يحث العشائر التي كان يمر عليها موكب المجاهدين بالتطوع لمحاربة الانكليز وقد عاونوه على هذه المهمة الشيخ "محمد باقر الشيبيني"، بعدها اتجه الموكب الى مدينة الناصرية فوصلها في منتصف شهر كانون الثاني ٩٥ فاقيم للسيد الجبوري مقرا يوجه منه صفوف المجاهدين وكان السيد محسن الحكيم امين سر السيد محمد سعيد الجبوري وقد حضر السيد الحكيم (قدس سره الشريف) معركة الشعيبة بعد ان بقي السيد الجبوري والمجاهدون مدة قصيرة في مدينة الناصرية نقلوا على ظهر السفن والبواخر التي هيئت لنقلهم الى منطقة الشعيبة وبعد وصولهم وزع السيد الجبوري المسؤوليات على عدد من الرجال الذين يعتمدوا عليهم امثال الشيخ باقر الشيبيني والسيد محسن الحكيم والشيخ علي الشرقي وسعيد كمال الدين وغيرهم بعد ان تم توزيع المسؤوليات اعدت للمجاهدين الخيام في منطقة الخيلية اخذت تتوارد جموع المجاهدون الاخرين الى المنطقة التي عسكر فيه السيد الجبوري والذين اتوا معه .



الحبوبي.. كبرياء الحياة والرحيل



وجه مدبب طويل ، تتعايش فيه عينان تختصران عصبية الصحراء ، لكنها عصبية الأيمان الممزوج برحابة صدره العريض ، وعمته السوداء تغور في الافق المعلوم ، لا تقدم لك سوى علم وفقاهة ونبوغ ، فهذا السيد الجليل ، في لحظة من تاريخنا ، قدم فتوى بأن ليل الانكليز قصير في العراق ، فكان ليلاً عبثاً ، وقدم فتوى ثانية بأن الوطن هو اغلى من كل المقدسات ، فعاش .. وأظنه يعيش دهوراً ويسكن في القلوب دهوراً !!

حميد المطبعي

أصل تسمية " الحبوبي "

ولد في النجف ، في خير الاسر التي وطلت ارض الغريين منذ زمان بعيد ، واصلهم من الحجاز سادة حسنية ، وكان جدهم السيد الامير حميضة بن ابي نما اول النازحين للعراق في المائة الثالثة عشرة للميلاد ، وعرفوا بلقب (حبوبي) على عهد جدهم السيد مصطفى جمال الدين ، وهو لقب مجازي نحت من حب الناس لهم ، وعرف اللقب بالألف واللام فصار (الحبوبي) واول من استعمله هو الشاعر الشهير (محمود الحبوبي - ت ١٩٦٩) وطبقا للمعلومة الوثائقية ، فإن نسب السيد المترجم له هو : محمد سعيد بن محمود بن قاسم بن كاظم بن حسين بن حمزة بن مصطفى بن جمال الدين .. !

في العاشرة من عمره سرت في عروقه روح الأدب ، وتلمذ لوالده (الفقيه التاجر) ثم رعاه خاله الشيخ عباس الاعسم فقرأ عليه علوم النحو والبيان والمعاني ، وزرع في اعماقه بذرة الشعر ، ورحل والده الى (حائل) ببداية نجد ولهم فيها امتدادات نسب ، ولحق به الابن الحبوبي ، فعاش وتخلل في تلك البوادي ثلاث سنوات فجزت فيه بنبوع الشعر وخيال الشعر ، ومارس الروسية ولعبة الاق ، وفي لحظاته تلك كتب قصيدة يناشد فيها اخيلة الحب

النجفية ، ونهابه الى القاهرة وباريس ، قال عنه الافغاني : (ان الحبوبي عبقرية التوحيد الاسلامي) وكانت رسائلهما المتبادلة تشكل مقدمة في الادب السياسي الاسلامي .. ! وعندما ربط الحبوبي الدين بالحياة من لحظة جلوسه في حلقة الفقه ، شهر سيف الجهاد على الاستبداد العثماني ، وندد بجماعة (الاتحاد والترقي) عندما دعت الى تترك اللسان العربي ، فايظ في النفوس لغة العرب ، وحرك في الاعماق لواعج الاستقلال من امبراطورية الرجل المريض ، وكان يقول لطلبة العلم في معاهد النجف (من لاوطن له لا دين له) ، وقد جعل الاجتهاد جهادا ، والجهاد مدرسة الحياة ، وفي ثورته الاجتهادية احدث تطورا في بنية العقل العربي ... !

معركة الشعبية

واحتل الانكليز ثغر العراق في تشرين الثاني ١٩١٤ ، وهرع السيد الجليل الحبوبي يصعد الى منبره في الصحن الحيدري : (الى الجهاد .. الى الدفاع عن مقدساتكم) وكانت فتواه هذه تذاخ في ارياف العراق ، وهز بها القلوب ، هز المشايخ ورؤساء القبائل ، وفي اليوم الثاني التأم الحشد في ميدان النجف ، واذا الحبوبي يتمنطق بسيف الجهاد على فرس مطهمة ، والهائل يصل شط الكوفة ، وتجرب به السفن والباخر الى اريخيل العشائر على نهر الفرات ، ثم يصل الى مدينة السماوة والناصرية فالفرنة ، والعشائر في كل العراق جاءت اليه بسبوقها وينادقها ورماحها ، وبلغ الحشد خمسين الفا ، وكانت المعركة في (الشعبية) بالبصرة ، والحبوبي فارسها ، ويوزع هنا فتوى ، وهنا ينظم سباق السيوف والرجال ، وهنا التحق به الزعيم الكردي (محمود الحفيد) ومعه آلاف الاكراد بين سيف وفرس وراجل ، فسالت الدماء العربية الكردية على مذبح الشهادة العربية الواحدة ، وتضرح الافق بنجيع الولاء الوطني ، يالروعة السيد الجليل ... !

الشموخ الوطني

وسبعة اشهر في كل مدى المعارك ، ولم تكن الاسلحة متكافئة بين الغزاة الانكليز والمجاهدين فانسحب الاتراك لما دب الضعف على جباههم ، وانحرف قائدهم (سليمان) وتراجع المجاهدون بين كر وفر ، والحبوبي يشمخ بقامته باتجاه الاق ، ويرى ثلاثة الاف شهيدا يسقطون تباعا ، وانهمك متعبا ، حتى انسحب الى الناصرية ، وما نام في ليل او نهار ، ولا استقر قلبه ، وللتاريخ فانه لم ينظم شعرا في الخمريات ؟ الخمرة ! انما جعل الخمرة غطاء رمزيا اخفى فيه عقيدته الاجتهادية على العثمانيين ، مثلما فعل شعراء اوربا في عصرهم الوسيط ، عندما استخدموا (غزلياتهم) اطارا سرباليا او رمزيا لادانة الاستبداد والقهر الاجتماعي ، وللحبوبي ديوان طبع ببيروت سنة ١٩١٣ ، وفيه رمز وتثبيته ومجاز واستعارة ، وفيه البلاغة كذلك هو الجتهاد المجاهد العظيم ، واما نحن حخدة التاريخ ، تكبر فيه صلاة الجهاد ، وكانت قائمته قائمة العراق ، وكانت كل كلماته طريقا الى الحرية ، فهل ستقيم له في يوم ، تمثالا يرمز الى شموخه الوطني ، على اعتابه نجد تاريخ العراق ... !

نعم التاريخ العظيم لا يستقبل الا الافذاذ الكبار ، وكان واحدا منهم ، هذا السيد الكبير النبيل الذي بلغ جهاده في سبيل الحرية حد الاعجاز ، وحتى العثمانيين في وثائقهم قالوا هو المجاهد الكبير ، واولئك الغزاة الانكليز قالوا كذلك هو الجتهاد المجاهد العظيم ، واما نحن حخدة التاريخ ، تكبر فيه صلاة الجهاد ، وكانت قائمته قائمة العراق ، وكانت كل كلماته طريقا الى الحرية ، فهل ستقيم له في يوم ، تمثالا يرمز الى شموخه الوطني ، على اعتابه نجد تاريخ العراق ... !

نص نادر في الأدب العراقي مع ديوان الشاعر الكبير الحبوبي

زكي مبارك

من الأديب الذي نلوذ بماضيه الهادئ فننسى أو نتناسى ما يحيط بنا من متاعب لا يتجاهل وقعها الأليم إلا من قد قلبه من الصخر الجلمود؟ الحبوبي .

نحن أمام ديوان طبع في بيروت سنة ١٣٣١هـ- ١٩١٣ م على نفقة الحاج عبد المحسن شلاش، والشاعر هو السيد محمد سعيد حبوبي (أشعر شعراء الشرق أمس وأكبر علمائه اليوم) كما كتب في صدر الديوان، فمن هو بين الشعراء والعلماء؟ إن العبارة التي رقمت على صدر الديوان تشهد بأن الرجل واجه لونين من ألوان الحياة الفكرية، فعاش أولا للشعر، ثم أقطع للعلم، وبذلك طغت شخصيته العلمية على شخصيته الشعرية؛ فإن انتهى بنا البحث إلى القول بأنه كان من الطبقة الثانية أو الثالثة بين الشعراء فسيصدق أقوام حين يقولون بأنه كان في صدر الطبقة الأولى من العلماء، وهل من القليل أن يسمو العلم بالحبوبي فيحفظ له ضريحاً في رحاب الحرم الحيدري بالنجف؟

ولكن كيف هجر الحبوبي حياة الشعر وانقطع العلم والتعليم مع ذلك الحظ من الفطرة الشعرية؟ يرجع السبب فيما أفترض إلى الرغبة في التفوق، وكان الحبوبي يعرف في سريرة نفسه أن طاقته العلمية أقوى من طاقته الأدبية. وفي المقدمة التي كتبها الشيخ عبد العزيز الجواهري لديوان الحبوبي عبارة تشهد بأنه كان مفهوماً أن الحبوبي لا يقدر على مسابقة شوقي وحافظ وزناتي وصبري، وهم شعراء وصلت قصائدهم إلى العراق في ديباجة مصقولة لم يسبق لها نظير في الشعر الحديث، ولا تسهل محاكاتها على رجل يعيش في بيئة تأخذ زانداها الأعظم من أقوال النحاة وقضايا الفقه والأصول

على أنه لا موجب للتكلف في البحث عن الأسباب التي قضت بانتقال الحبوبي من ميدان الشعر إلى ميدان التدريس. فالرجل فيما يظهر كان يميل إلى إيتار الحياة العلمية، وكان الناس من حوله يطيب لهم أن يروه من أعظم العلماء، إن صح أن البيئة التي سكن إليها وسكنت إليه كانت تمكك صرفة عن الانخراط في سلك أكابر الشعراء، لو أرادت به شياطين الشعر غير ما يريدون!

والواقع أن البيئة التي أحاطت بالحبوبي كانت ترجو أن يظفر بأعظم الحظوظ من الشعرية، ولكن الرجل عرف ما يملك من الطبع، فلم يجاوز ما يطبق إلى ما لا يطبق، وإن أثقله محبوه بأضخم الألقاب والواقع أيضاً أن الحبوبي الشاعر أضاعته الحياة الفقهية، وهي حياة لا يرتفع معها شعر ولا خيال، وإن كانت في ذاتها من أجمل الحيوانات، وهل تعز الشعرية على من يسعفه الروح بمثل هذا الهتاف إسقني كأساً وخذ كأساً إليك

فلذيق العيش أن نشتركا

وإذا جدت بها من شفتيك

فاسقنيها وخذ الأولى لكا

أو فحسبي خمرة من ناظريك

أنهبت نسكي وأضحت منسكا

وانتهب الوقت ودع ما سلفا

واغتمت صفوك قبل الرنق

إن صفا العيش فما كان صفا

أو تلاقينا فقد لا نلتقي

وقد فتن الشاعر بهذا المعنى قاعاده بأسلوب آخر حين قال:

يا غزال الكرخ وأوجدي عليك

كاد سرى فيك أن ينهتكا

هذه الصهباء والكأس من لديك

وغرامي في هواك احتكتكا

فاسقني كأساً وخذ كأساً إليك

فلذيق العيش أن نشتركا

أتزع الأقداح راحاً قرُقفا

واسقني واشرب أو اشرب واسقني

فلماك العذاب أحلى مرشفا

من دم الكرم وماء المُن

إن الشاعرية لا تعز على من يسعفه الروح بمثل

هذا الهتاف ولا تعظم على من يزور داراً في بغداد

فيروعه ما عند أهلها من صباحة الوجوه وطهارة

القلوب فيقول:

فلمست أدري أملي فيهم غزلاً

لما رأيتهُم أو أنشئ المِحا

إن الفقه هو الذي وأد الشاعرية في صدر من كان

يجيد مثل هذا النشيد:

رويداً ساقف النوق

فما ودعتُ معشوقي

فيالأحداج لي رشأ

رمى سهماً بلا فوق

يسهم للحظ يرشقني

وقلبي جدّ مرشوق

كان القلب يوم سرى

فليت العيس ما رحلت

فقد خفتُ بمبئج

من الألاء مخلوق

والبيت الأخير من وثبات الخيال الفقه هو الذي

أضاع صاحب هذا الهتاف:

يا حامل الوردة ما أطفك!

فهل ترى لي اليوم أن أرفشك؟

يا وردة الناظر بالله قل

بهذه الوردة من أنحفك؟

لا أطفل الوردة، ولكنني

قد كنت من روضك أن أطفك

وخالصة القول أن الحبوبي كان أية في قوة الطبع،

ودقة الذوق، ولكن الفقه جني عليه فلم يحفظ له

مكان بين أكابر الشعراء

مراجع

رأى القارئ في صدر هذا المقال أنني ضيق الصدر بسبب ما يتور من الأزمات الدولية، وقد حاولت أن أنتفع بفرصة الكلام عن الحبوبي فأسوق طوائف من البحوث المتصلة بتاريخ الشعر العراقي في العصر الحديث، ولكن الحوادث صدتني عما أريد، فلم يبق إلا أن أوجه نظر القارئ إلى المراجع التي تساعد على فهم شاعرية الحبوبي، وأهمها بعد الديوان كتاب (العقد المفصل) ففيه أخبار كثيرة عن الحبوبي، وفيه إشارات تشرح بعض الغوامض من ذلك الديوان.

شعيد الدفاع

هذا عنوان قصيدة نظمها معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي في رثاء الحبوبي ومن هذه القصيدة نعرف أن الحبوبي كان نهض إلى الدفاع في المحرم سنة ١٣٣٣ (١٩١٥) فأجابته خلق من أهل الفرات والأقاليم الجنوبية وسار بهم إلى (الشعبية) ولكنهم أصبوا بالخذلان فعاد إلى الناصرية ورابط فيها إلى أن مات في عشية الأربعاء ثاني شعبان سنة ١٣٣٣ ومعنى ذلك أن الحبوبي لم يكف بالمنزلة الأدبية والعلمية فتسامت نفسه إلى الاتسام بوسم الجهاد وقصيدة الشبيبي في رثاء الحبوبي تضمنت إشارات إلى أغراض سياسية يضيق عنهما هذا الحديث، وفيها نغمة من قصيدة شوقي في (الأندلس الجديدة) .

زنتي

مرت إشارة إلى الشاعر زنتاتي عند الحديث عن الشعراء الذين عجز عن مجاراتهم الحبوبي، فمن هذا الشاعر المصري المجهول؟ هو الشيخ أحمد زنتاتي، أحد أساتذة اللغة العربية، وكان الشاعر الثاني بعد شوقي في نظر أستاذنا الشيخ محمد المهدي، وكنا نحفظ له في عهد الحداثة قصيداً نخاله مبتدأً بهذين البيتين أرتقت وأصحابي خليون نؤم وما أنا نو شوقٍ ولا أنا مُعْرَمُ ولكن هُما بين جنبي شِبهُ

على ذوو القرْبى عفا الله عنهم وقد أرجع إلى البحث عن آثار هذا الشاعر بعد حين، الشاعر الذي جهله المصريون وعرفه العراقيون.

* **مجلة الرسالة/العدد ٤٠٩/ بتاريخ: ٥ - ٥ - ١٩٤١**

عراقيون
من زمن التوجه

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى ليرى

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق



الإخراج الفني: حيدر الكوازي

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

قصة الجهاد ودور الحبوبي

مجاهد منعرث



كان السيد محمد سعيد الحبوبي اول مرجع في العراق يصدر فتوى بأدائه الغزو الإيطالي لليبيا، دعا الناس الى التظاهرات وتضامن معه بعض العلماء وحدثت مظاهرات في مختلف مدن العراق احتجاجاً على احتلال القوات الإيطالية لمدينة طرابلس فهومن فتح الباب، وزمن الاحتلال الانكليزي كان يردد السيد محمد سعيد الحبوبي: جاءت لتحميننا على زعمها ولنندين ليس بها حامية يا غيرة الله لاعداءه كوني عليهم ضربة قاضية. في زمن وجود الحكم العثماني احتلت الجيوش البريطانية البصرة الواقعة جنوب العراق في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ م. وكانت هذه القوات قد احتلت مدينة الفاو اخر نقطة للجنوب العراقي في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤. وبعد احتلال الفاو بعث القادة الترك الحاكمين في العراق البرقية التالية الى علماء الدين في العراق هذا نصها:-- ثغر البصرة

الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الاسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع. وقرأت هذه البرقية في المدن العراقية الرئيسية في المساجد والجموع والتجمعات والاسواق فاضطرب الناس وعطلت الاسواق.. وبعد هذه الاخبار عقد في النجف الاشرف اجتماع كبير في جامع الهندي المجاور للصحن الحيدري الشريف وبحضور وفد ارسلته الحكومة التركية مؤلف من محمد فاضل باشا الداغستاني وشوكت باشا. وفي ذلك الاجتماع الحاشد بالوجوه والعلماء خطب كل من: السيد محمد سعيد الحبوبي والشهيد عبد الكريم الجزائري والشهيد جواد الجواهري واكدوا جميعهم وجوب الدفاع عن بلاد الاسلام. وكان المرحوم السيد الحبوبي يردد: نحن بنو العرب ليوث الوغى دين الهدى فينا قوي عزيز لا يبد ان نزحف في جفل نبير فيه جفهل الانكليز. يقول الأستاذ عبد الحليم الرهيمي: في مدينة النجف قام عدد كبير من العلماء بأوار مهمة في حركة الجهاد، وكان أبرزهم المجتهد محمد سعيد الحبوبي (ويعتبر من كبار الفقهاء المجددين وبرز كشاعر مجدد أيضاً وكان أول من أفتى عام ١٩٠٨م بشرعية تأسيس مدارس حديثة في بغداد لتعليم اللغات الأجنبية، وهو من عائلة نجفية مشهورة من السادة العاملين في التجارة، قائد المجاهدين في

جبهة الشعبية، وبعد الانكسار في المعركة وعودته مع المجاهدين إلى مناطقهم، توفي قرب مدينة الناصرية في منطقة سُميت (دار الجهاد) وذلك في الثاني من شعبان ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥م، وقد اعتبرت وفاته نكسة كبيرة لحركة الجهاد في العراق). ان السيد الحبوبي قام بدور رئيسي في الثورة، حيث كان أول من بادر إلى قيادة مجموعات المجاهدين والتوجه بهم إلى الجبهة، وقد التف حوله عدد من العلماء في النجف الأشرف وكرلاء والكاظمية الذين قاموا بدور فعال في تعبئة عشائر الفرات الأوسط وحثها على الجهاد ١٨. يُعد السيد الحبوبي من أبرز رجال الدين الذين دعوا المسلمين العرب وغير العرب للجهاد ضد الاحتلال الانكليزي للعراق في الشعبية في سابقة للمرجعية الدينية تثير الحماس في النفوس عند الكبار والصغار وتدفع الكل للتسابق لنيل الشهادة حينما وقف الحبوبي مرتديا العمامة الشريفة ممتطيا ظهر حصانه ويده السيف وينادي بصوته الجهوري المتمكن والواضح. ثم القى بثقة خطبة حماسية يحث الناس على الجهاد متجولا في الاسواق وأزقة المدن وشوارعها الرئيسية.. إذ التحق جميع الرجال ومعظم رجال الدين ومن مختلف الاصول العربية والايرانية والكردية الحركة الجهاد والتحق به الزعيم الكردي (محمود الحفيد ١٩. ومعها آلاف

الاکراد بين سيف و فرس و راجل، فسالت الدماء العربية الكردية على مذبح الشهادة العراقية. كان خلال سيره بالجموع ينفق عليهم من ماله الخاص، وقد قدمت له الحكومة العثمانية خمسة آلاف ليرة ذهباً كمساعدة له على مواصلة جهاده ولكنه أبى قائلا: (ما زلت أملك المال فلا حاجة لي به، وإذا ما نفذ فشأني شأن الناس أكل مما يأكلون وأشرب مما يشربون). وقد أنطلق موكبه الجهادي بواسطة السفن من الكوفة عبر الشامية وغماس والشناقية والسماوة والخضر ثم حط رحاله في الناصرية بعد حثه أبناء العشائر والمدن التي مر بها على الالتحاق به للجهاد فتبعه الألوف ثم انطلق من سوق الشيوخ في ٤ ربيع الثاني ١٣٣٣ هـ الموافق ليوم ١٩/٢/١٩١٥ م في موكب كبير قدر عدده بنحو ثلاثين ألفا راجل وعشرة آلاف فارس نحو الشعبية ثم انسحب الى الناصرية بعد هزيمة الجيش التركي في منطقة الخيلة. وفي بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤ تحرك السيد محمد سعيد الحبوبي اي قبل اسبوع من احتلال البصرة وكان معه لفييف من العلماء كالسيد محسن الحكيم والشهيد باقر الشبيبي والشهيد علي الشرفي. عن بحث (السيد الحبوبي هوية وحضارة في العراق)

عراقيون

